

مجلة جامعة صبراتة العلمية

Sabratha University Scientific Journal



مجلة علمية نصف سنوية محكمة متخصصة في العلوم الإنسانية
تصدرها جامعة صبراتة بشكل الكتروني

التحوّلات التعاقبيّة الصوتيّة في اللّسان العربيّ: دراسة صوتية

د. زينب عبد السلام المقفوز
Phonetic Cascade Transformations in the Arabic Language: A Phonetic Study

قسم اللغة العربية كلية الآداب والتربية صبراتة - جامعة صبراتة.

Zainababduslam1971@gmail.com

رقم الإيداع القانوني بدار الكتب الوطنية:
2017-139

الترقيم الدولي:

ISSN (print) 2522 - 6460

ISSN (Online) 2707 - 6555

الموقع الإلكتروني للمجلة:

<https://jhs.sabu.edu.ly>

التحوّلات التعاقبية الصوتية في اللسان العربي: دراسة صوتية

Phonetic Cascade Transformations in the Arabic Language: A Phonetic Study

د. زينب عبد السلام المقوز

قسم اللغة العربية كلية الآداب والتربية صبراتة جامعة صبراتة.

Zainababduslam1971@gmail.com

ملخص:

تعدّ دراسة الصوتية التعاقبية للأصوات المتجاورة وتحولها خطوة هامة لدراسة البنية الصوتية للكلمة في العربية، وتبين أثر قوانين التطور الصوتي في تشكيل هذه البنية، ومدى ثراء المعجمات اللغوية بظاهرة التحول والتطور الصوتي .
الكلمات المفتاحية: مصطلح التعاقب، مصطلح الصوتية التقابلية.

Phonetic Cascade Transformations in the Arabic Language: A Phonetic Study

Abstract:

The study of the cascade phonetic of adjacent sounds and their transformation is an important step in studying the phonetic structure of the word in Arabic. Such an investigation shows the effect of the laws of phonemic development in the formation of this structure, and the extent to which linguistic lexicons are rich in the phenomenon of phonemic transformation and development.

Keywords: the term succession, the term contrastive phoneme.

مصطلح التعاقب:

يحدث التعاقب في الأصوات العربية غير المتجاورة في كلمتين ، غير أنّ هذه الأصوات المتعاقبة تكون متّحدة أو متقاربة في مخرجها الصوتي، أو في صفتها الصوتية، فالتعاقب يمثل التحول الصوتي والتغير في مخرج الصوت أو صفاته، مع اتحاد المعنى بين الكلمتين اللتين حدث بينهما التعاقب، فالتحوّلات التعاقبية الفونولوجية في العربية هي: " تلك التغييرات التي تصيب الأصوات من جهة الصلات التي تربط هذه الأصوات بعضها ببعض في كلمة واحدة، فهي لذلك مشروطة بتجمّع صوتي معيّن، وليست عامة في الصوت في كل ظروفه وسياقاته اللغوية" (1)، وقد أشار بعض العلماء المتقدمين والمعاصرين إلى أنّ هذا التعاقب يأتي في صورتين أو أكثر، لظاهرة لغوية واحدة، مما يدل على وجود نطقين أو أكثر، قد يمثل فترة تاريخية أقدم من الصور الأخرى (2).

مصطلح الصوتية التقابلية: (Phonologie Contrastive)

يقصد بمصطلح الصوتية: «الدراسة التي تصف وتصنف النظام الصوتي للغة معينة» (3)، ويقابله مصطلح الفونولوجيا، فالصوتية التقابلية هو علم الفونولوجيا التعاقبية (4)، الذي يحدّد المميزات الصوتية للغة، ويضع النظام الفونيمي لها، ويربط المادة الصوتية بالبنية أو التركيب اللغوي، ويدرس التغيرات والتحوّلات الصوتية في اللغة نتيجة تطورها، ويبحث في دور الفونيم في التركيب الصوتي للكلمتين؛ وأطلقوا عليه علم وظائف الأصوات، أو علم الأصوات التنظيمي (5).

مدخل عام:

أدرك العلماء المتقدمون ظاهرة التعاقب الصوتية، وأوردوا صوراً لأنماط التحوّلات التعاقبية الفونولوجية في العربية، إذ يرى بعض علماء العربية كابن السكيت، والزجاجي، وابن جني، وغيرهم، أنّ هذا التحوّل والتغيّر لا يتضمن ظاهرة الإبدال الصوتي، وإن كانت لها جذور لغوية في لهجة بعض القبائل العربية، وأطلقوا عليه ظاهرة التعاقب الصوتي للأصوات، كتعاقب صوتي الضاد والطاء في قولهم: رجلاً أضْرَطُ وأطْرَطُ والحاجبين أي ليس له حاجبان⁽⁶⁾، وألفوا فيها مؤلفات عديدة، ككتاب الإبدال والمعاقبة والنظائر للزجاجي، وكتاب التعاقب لابن جني، كما أفرد لها ابن السكيت باباً في كتابه إصلاح المنطق، وكذلك ابن سيده في كتابه المخصص، ويرى المبرد جواز التعاقب الصوتي في الكلمتين المنفصلتين، إلا أنّ ترك التعاقب بينهما أجود في نظره⁽⁷⁾، وهي لغة بعض القبائل، نسبها بعض المحدثين إلى بني العنبر، وهديل، وهوازن، وبني سليم، وأهل العالية⁽⁸⁾، ويرجع بعضهم هذه الظاهرة الصوتية إلى التوهّم السمعي وأخطائه، وإلى ضعف الإصغاء، وأطلقوا عليه قانون الحدقة أو المبالغة في التقصّح⁽⁹⁾.

ويعدّ التعاقب عملية إرادية تتحوّل فيها بعض الأصوات في الكلمتين ذات المعنى الواحد؛ ولهذا اشترط علماء العربية المتقدمون لوقوع المعاقبة عدّة شروط⁽¹⁰⁾، منها:

1. وجود علاقة صوتية بين الصوتين المتعاقبين، كالتقارب في المخرج أو في الصفة.
2. أن تكون للكلمتين المتعاقبتين معنى واحداً.
3. أن يحدث التعاقب لغير علّة تصريفية، إذ يقع التعاقب لطلب الخفة، وسهولة الاستعمال.
4. التعاقب ليس قاعدة صوتية مطّردة؛ لأنه يعتمد على السماع، مع استعمال الأصل، فإن لم يُسمع الأصل لا تكون معاقبة.
5. يأتي التعاقب في أوّل الكلمة، ووسطها، وآخرها، ويكون بين صامتتين، أو صائتين.

ومن صور هذا التحوّل التعاقبيّ الفونولوجي في التراث العربيّ، والمعاجم اللغوية:

1- التحوّلات التعاقبية في الأصوات الحلقية:

يمكن أن تتحوّل الأصوات الحلقية إلى أصوات قريبة منها في المخرج، كالأصوات الحنجرية،

ومن هذه التحوّلات التعاقبية:

أ- بين صوتي الغين والقاف:

يقول الزبيدي: "وبزقت الشمس أي: بزغت، وفي حديث أنس _ رضي الله عنه - : أتينا أهل خيبر

حين بزقت الشمس، قال الأزهري: هكذا روي بالقاف، والمعروف بزغت بالغين، أي: طلعت، قال: ولعلّ

بزقت لغة، والغين والقاف من مخرج واحد"⁽¹¹⁾

فالتعاقب الصوتي بين صوتي القاف والغين مثل له الزبيدي في (بزقت وبزغت)، ومنه حديث أنس - رضي الله عنه - في بزقت الشمس وبزغت، بمعنى طلعت⁽¹²⁾، واختلف علماء الأصوات المتقدمون في مخرج القاف، فذكر الخليل أنه صوت لهوي⁽¹³⁾، في حين قال سيبويه إنه: "من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى"⁽¹⁴⁾، وقال ابن يعيش: "من أدنى حروف الفم إلى الحلق"⁽¹⁵⁾.

فذهب الخليل وابن يعيش على أن مخرجها من اللهاة، بينما يرى ابن جني أنها حنكية، وانتقوا على وصفها بالمجهورة⁽¹⁶⁾، أما صوت الغين فقد انتقوا على أن مخرجها من الحلق، ووصفوها بالجهر⁽¹⁷⁾.

وقد اختلف المحدثون كذلك في مخرج صوت القاف، فقال أغلبهم إنها صوت لهوي يخرج من أقصى اللهاة ومؤخر اللسان⁽¹⁸⁾، وقال بعضهم إنها صوت حنكي يخرج من أقصاه ووصفوه بالمهموس⁽¹⁹⁾، وبعضهم وصفه بالمجهور⁽²⁰⁾، فانتقوا في وصفهم لها مع وصف المتقدمين عنهم.

أما صوت الغين فقد عدّه بعض المحدثين صوتاً قصياً طبقاً⁽²¹⁾، وبعضهم وصفه من أقصى الحنك مخرجه⁽²²⁾، وبعضهم الثالث قال عنه صوتاً لهوياً، ووصفوه بالمجهور⁽²³⁾، وقد تحدّث كمال بشر عن وروده في التراث العربي، فقال: "يقال إن لهذه الصورة النطقية الرابعة للقاف أصلاً في القديم - يقصد نطق القاف غيناً - بدليل ورود أمثلة في التراث العربي يقع فيها التبادل بين القاف والغين من نحو: غلام ألقف وأغلف، أي لم يُحَنَّ، وقلقل الأرض وغلغل، أي ذهب في الأرض"⁽²⁴⁾، ومنه الغفر والقفر، بمعنى الشَّعر، في قول الراجز⁽²⁵⁾:

قَدْ عَلِمْتُ حَوْدَ بساقِهَا العَفْرَ لَتَرَوِينَ أَوْ لَتَبِيدَنَّ الشُّجْرَ

ومما سبق يتبين أن التعاقب الفونولوجي بين صوتي القاف والغين في كلمتين، يحدث نتيجة تقاربهما في المخرج والصفة عند أغلب العلماء.

2- التحولات التعاقبية في الأصوات الأقصى حنكية:

انحلال الجيم إلى صوت الدال:

يقول ابن منظور في الإذل: "الإذلُ وجعٌ في العُنُقِ حكاه يعقوب، وفي التهذيب:

وجع العُنُقِ من تعادي الوسادة، مثل الإجل"⁽²⁶⁾.

فقد جاءت الإذل والإجل بمعنى واحد، ومن المتوقع أن يحلّ صوت الجيم إلى أحد مكّونه⁽²⁷⁾، فالجيم المركبة مكونة من صوتين: الدال اللثوية الأسنانية، والشين المجهورة، كما في الإجل والإذل، ومعناها الوجع في العنق من الوسادة.

ومثله في بعض اللهجات العربية قولهم: الدشيثة، وهي لغة في الجشيثة أي الحنطة المطحونة⁽²⁸⁾، وكذلك الدّعظاية: كثير اللحم أو القصير، ويقال فيه: الجعظاية بالجيم⁽²⁹⁾، ويقال للرجل الجافي العزيز النفس: عندهية، وعُنْجُهية⁽³⁰⁾، وفي اللهجة المعاصرة يقول أهالي مدينته (جرجا) المصرية عن مدينتهم (دردا)، ويقولون في جمل وجاموسة: دمل وداموسة⁽³¹⁾، وبعضهم يقول في جيش: ديش، وفي

جَزَار: دَزَار وفي جيس: دبس، وفي سوريا والعراق يقولون مثلاً: دَشَّر في جَشَّر بمعنى أفرغ الإناء، وهي من الفصيح.

1- انحلال الجيم إلى صوت الشين المجهورة:

يقول ابن سيده: "والجيم قد قُرِبَتْ منها، فُجِلَتْ بمنزله الشين، من ذلك قولهم في الأجدُرُ أشدر، إنما حملهم على ذلك أنها موضع حرف قد قُرِبَ من الزاي" (32)

لقد وضح ابن سيده من أمثلة انحلال الجيم المركبة إلى الشين في: الأجدُرُ والأشدرُ، وبين أن هذه الشين مهموسة عندما وصفها بقربها من الزاي في الهمس، إذ أن الجيم المركبة ليست الشين المهموسة من مكونات التحولية، بل هي الشين المجهورة التي وصفها سيبويه بأنها الجيم التي كالشين، وجعلها من الأصوات غير المستحسنة (33)، وهذه الجيم المشبعة: صوت لثوي حنكي، كالشين المهموسة، إلا أنها مجهورة (34).

وانحلال صوت الجيم إلى الشين أقدم من انحلاله إلى الدال، فعند النطق بها تفقد الشين صفة الجهر، وتتحوّل إلى الشين المهموسة (35)، واقترب الجيم من الشين يحدث بالتخفيف من انفجار الجيم عن طريق شيء من الاحتكاك (36).

ومن هذه الاستعمالات التي وردت بالجيم والشين في العربية، المُدَمَّجُ والمُدَمَّشُ: بمعنى المستقيم (37)، ومنه قول الراجز (38):

إذ ذاك حبلُ الوصال مُدَمَش

أي مُدَمَج، ولم يجعل ابن سيده (مُدَمَش، ومُدَمَج) من الإبدال، في حين جعله ابن عصفور من الضرورة الشعرية؛ لاتفاق القوافي، ولا يحفظ (39).

ويمكن تفسير ذلك أن التعاقب هنا كان في بداية الأمر تركيبياً صوتياً، ثم صار تاريخياً مع مرور الوقت، بين الجيم المركبة والشين المهموسة (40)، ومنه في الفصحى العربية: هَبَش وهَبَج: وهوالدق، ومكان جاسٍ وشاسٍ، أي: مرتفع (41)، وتعرف بكشكشة تميم.

وقد امتدت ظاهرة انحلال الجيم المركبة إلى الشين، التي فقدت صفة الجهر لتصير الشين المهموسة في بعض اللهجات العربية، كلهجة عامية مصر في قولهم: وشفيوجه (42)، وقول أهل الكرك في جنوب الأردن: اشترت، ومُشْتهد، واشتماع، في اجترت، ومجتهد، واجتماع، وهي لهجة معظم أهالي الشام؛ لهذا سُميت بالجيم الشامية (43).

2_ انحلال الجيم إلى الكاف:

ينقل ابن منظور عن الأزهري: "خطيب مسهَج ومسهَك، وريح سيهوك وسيهوج، وسيهك وسيهج، قال: والسَهْكَ والسَهْج، مرَّ الرِّيح" (44).

أورد ابن منظور التعاقب الصوتي بين الجيم والكاف في كلمة السهج والسهك، ومعناها: مرّ الريح، وهذا التعاقب تقرّه القوانين الصوتية؛ لقرّب مخرجي الجيم والكاف، فمخرج الجيم غاريّ، ومخرج الكاف طبقيّ، والكاف أسهل في النطق من الجيم المركّبة، والامتكّم يميل للسهولة واليسر. وقد ظهرت في كتب اللغة العربية أمثلة لتعاقب هذين الصوتين منها: مرّ يَرْتَجُ، ويَرْتَكُ إذا تَرَجَّرَجَ، وأخذَه شَجٌّ في بطنه وسَكٌّ: إذا لان بطنه، وريحٌ سَيُهْوَجُ وسَيُهْوَكُ: أي شديدة⁽⁴⁵⁾، وظهر التعاقب الصوتي في كتب العامة من الناس على لسانهم، فقالوا: الكُدُكُ بدل الجُدُجُ، للنبْرة التي تخرج من جوف العين⁽⁴⁶⁾، ودَسْتَكُ بدل دَسْتَجُ للذي يُدَقُّ به⁽⁴⁷⁾.

3- انحلال الجيم إلى صوت القاف:

يقول الزبيدي: "جان والمزلاق مزلاج، أو لغة فيه، وهو الذي يُغلق به الباب ويُفْتَحُ بلا مفتاح"⁽⁴⁸⁾ التعاقب الصوتي بين صوتي الجيم والقاف تقرّه القوانين الصوتية، فالجيم والقاف من مخرجين متقاربين، فالجيم غاريّ، والقاف لهويّ⁽⁴⁹⁾، ووصف سيبويه صوت القاف أقصى حنكي مجهور⁽⁵⁰⁾، أما المعاصرون فقد وصفوه بالصوت اللهويّ المهموس؛ ولهذا يظهر لصوت القاف صورتين صوتيتين، إحداهما الصورة المجهورة التي وصفها المتقدمون، والثانية المهموسة التي تظهر في النطق الفصيح للقاف⁽⁵¹⁾، وقد نقل الزبيدي التعاقب بين الصوتين، وجعلها أحياناً لغة، وقد وردت أمثلة منها في كتب اللغة العربية، وفي لسان العامة، ففي لسان العرب: "قَوَيْتُهُ بالسوط وجَوَيْتُهُ: قطعته"⁽⁵²⁾، وقال أيضاً: "وانبأقت عليهم بائقة شرّ وانبأجت: انفتقت"⁽⁵³⁾، وقال: "والرَدَقُ والرَدَجُ: عَقِيّ الجدي"⁽⁵⁴⁾، وورد في لحن العامة: قَلْفَاطٌ وجَلْفَاطٌ⁽⁵⁵⁾، ومِقْدَافٌ ومِجْدَافٌ⁽⁵⁶⁾.

4 - بين صوتي الكاف والقاف:

يقول صاحب اللسان: "الكَسْطَلُ والكَسْطَالُ: الغُبارُ، والأعراف بالقاف"⁽⁵⁷⁾. فالكاف صوت انفجاريّ من أقصى الحنك، قريبة من القاف التي وصفها سيبويه، فمخرج القاف من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى، وأما الكاف فتخرج من أسفل موضع القاف من اللسان قليلاً وما يليه من الحنك الأعلى، والفرق بينهما أنّ سيبويه جعلها صوتاً مجهوراً، وجعل الكاف صوتاً مهموساً⁽⁵⁸⁾، وكلاهما صوت شديد (انفجاري) مهموس عند المحدثين⁽⁵⁹⁾.

وذكر ابن سيده أنّ تقتد وتكتد بمعنى واحد⁽⁶⁰⁾، فقد روي بالوجهين، كما في قول الراجز⁽⁶¹⁾:
تَدَكَّرَتْ تَقْتَدُ بَرْدَ مَائِهَا وَعَتُّكَ الْبَوْلِ عَلَى أَنْسَائِهَا فَالْقَافُ هِيَ الْأَعْرَافُ وَالْأَصْلُ فَيَتَقْتَدُ وَتَكْتَدُ؛ بسبب وصفها عند المتقدمين بالجهر، وتغيّرها إلى الصفة المهموسة، وبهذا الوصف فإنّ القاف تكون النظير المجهور للكاف، في حين عدّها المعاصرون صوتاً مهموساً خلافاً للمتقدمين، وبوصفهم هذا يزداد التقارب بين الكاف والقاف، فيحدث التعاقب بسهولة؛ لاشتراكهما في قرب المخرج واتحاد الصفة عند المعاصرين.

وهذا الوصف لا يمنع من حدوث عملية التعاقب الفونولوجي؛ لأنّ منطقة اللهاة التي يخرج منها صوت القاف المهموسة ليست بعيدة عن منطقة أقصى الحنك، والتي تخرج منها القاف الفصيحة الأخرى (القاف المجهورة)، وهي التي مازلنا نسمعها في أرياف الأردن، وسورية، وبواديها، والعراق، وبعض مناطق فلسطين، وأرياف مصر.

ووجود نمطين لبنية الكلمة أحدهما بالكاف والآخر بالقاف كثير في كتب اللغة، من بينهما: "الْوُقْنَةُ وَالْوُقْنَةُ: موضع الطائر من الجبل وجمعه: وقنات ووكنات" (62)، وجاء في حديث الاستسقاء: "بَشَقَ المسافر ومُنِعَ الطريق، وكذلك بَشَكَ بالكاف، وقيل معناه: تأخّر أو حُبس أو ومَلَّ أو ضعف". (63)

واللهجات العربية الحديثة مالت إلى هذا التعاقب بين الصوتين، ففي الموصل بالعراق يقولون في أَبَقَ: أَبَقَعَ، وفي انْزَهَقَ: انْزَهَكَ، وفي تَبَقَّطَ: تَبَقَّطَ (64)، وفي لهجة سكان جبال تطوان بالجزائر يقولون: كَهَكَةً في قَهَقَهُ، وكَحَطَ في قَحَطَ، وطاكي في طاكية (65).

تعاقب الأصوات اللثوية الأسنانية:

تنطق هذه الأصوات بارتفاع مقدّم اللسان عن الأسنان الأمامية، ويشترك في إخراجها طرف اللسان وأسلته مع أطراف الثنايا العليا وأصولها، وهي أصوات احتكاكية (66)، ومن صور تحولاتها التعاقبية:

1- بين صوتي الدال والتاء:

يقول الخليل: "الدوّلج لغة في التؤلج، والدوّلج: البيت الصغير كالمُخْدَع" (67)، وقد ذكر سيبويه التؤلج والدوّلج في باب: (مما حَقَّفَ على ألسنتهم وليس بمطرّد) (68)، أما ابن سيده فقد ذكرهما في باب: (هذا ما يجيء مقولاً بحرفين وليس بدلاً) (69)، فالتالنج لغة في الدالنج من (دلج)، والتؤلج لغة في الدوّلج، وهو البيت الصغير كالمخدع ونحوه.

فبين صوتي التاء والدال لا يوجد خلاف صوتي، سوى في صفتي الجهر والهمس، فالدال صوت لثويّ أسنانيّ انفجاريّ (شديد) مجهور، والتاء صوت أسنانيّ انفجاريّ (شديد) مهموس، فالتعاقب الصوتي بينهما وارد من الناحية الصوتية (70).

ومن أمثلة هذا النوع من التعاقب الصوتي، التعاقب في كلمتي (السبنتي والسبندي)، وهو الجريء المقدم من كلّ شيء (71)،

وقول العرب: هرد، الثوب مرّقه وشققه، وكذلك هرته، وهي لغتان (72)، ومنه قول تميم بن

مقبل (73):

عاد الأذلة في دارٍ وكان بها
هُرْتُ الشقاشقِ ظلّامون للجرر

2- بين صوتي الطاء والذال:

يقول الزبيدي ناقلاً عن كراع: "جَطَّحَ بشدّ الطاء وسكون الحاء بعدها للزجر للجذّي والحمل، وقال بعضهم: جِدَّحْ، فكأنّ الذال دخلت على الطاء، والطاء على الذال"⁽⁷⁴⁾.

يلاحظ التعاقب الصوتي في قول الزبيدي بين الطاء والذال في جَطَّحَ وجِدَّعْ، ولم يجعلها من باب الإبدال الصوتي، بل قال إنه دخول الذال على الطاء أو الطاء على الذال، هذا الدخول هو ما يعرف بالتعاقب الصوتي بينهما في العربية من غير إدغام أو قلب أو إبدال أو حذف أو تأثير صوتي بينهما ولا تغيير في المعنى.

والتعاقب الصوتي بين صوتي الطاء والتاء أمر وارد الحدوث؛ لأنهما متماثلان في المخرج، فكلاهما صوت لثويّ أسنانيّ انفجاريّ، وإن كان سيبويه قد وصف الطاء بالصوت المجهور⁽⁷⁵⁾، ومن المحدثين من يصفها بالصوت المهموس⁽⁷⁶⁾، فلا فرق بينهما إلا في الإطباق، إذ لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، وأما الطاء المهموسة فهي غير مستحسنة عند سيبويه ولا في لغة من ترتضى لغتهم⁽⁷⁷⁾، وإن كان إسماعيل عميرة يرى أنّ مفهوم الجهر عند المتقدمين يتفق مع مفهوم مصطلح الانفجاريّ عند المحدثين⁽⁷⁸⁾، وعليه فوصف الطاء القديمة (المجهورة) يسوّغ التعاقب الصوتي بينه وبين صوت الذال، أما وصف الطاء الحديثة (المهموسة)، فإنّ التعاقب بينهما مسوّغ من جهة اتحادهما في المخرج لا في الصفة.

وقد وردت كثير من الأنماط اللغوية في المعاجم العربية، والاستعمال العربيّ بالذال والطاء مع اتحادهما في المعنى، من ذلك ماروي عن العرب قولهم: "ما أَبْعَطَ طَارِكُ، أي: ما أَبْعَدَ دَارِكُ"⁽⁷⁹⁾، ومنه الطحو والدحو، وهو التَبْسُطُ⁽⁸⁰⁾، و(قَدْ) مثلُ (قَطُّ) بمعنى حَسَبُ⁽⁸¹⁾، ومنه قول النابغة الذبياني⁽⁸²⁾:

قالت ألا لئنما هذا الحمام لنا
إلى حمامتنا ونصفه فَقَدِ.

وقوله (فَقَدِ) أي حسبي.

3 - بين صوتي الطاء والتاء:

يقول الخليل: "ورجلٌ تَبِنٌ فَطِنٌ، وَطَبِنٌ"⁽⁸³⁾، ويقول الأزهري: "والعرب تبدل التاء طاء لقرب مخرجيهما، قالوا: مطّ ومتّ، وطرّ وترّ، إذا سقط"⁽⁸⁴⁾.

فوقوع التعاقب الصوتي بين صوتي التاء المهموسة والطاء المجهورة في (تبن وطبن)، و(مطّ ومتّ)، و(طرّ وترّ)، أمر محتمل الحدوث؛ وذلك لاشتراكهما في صفة الهمس، وإن اختلفا في صفتي التقخيم للطاء والترقيق للتاء، وهو من تداخل قانون السهولة واليسر في تحويل الصوت المفخّم إلى المرقّق ليسهل نطقه.

وله أمثلة كثيرة في العربية منها: (حطّ وحتّ)، بمعنى نثر، وقد جاء في الحديث: "جلس رسول الله-صلى الله عليه وسلم- إلى غصن شجرة يابسة، فقال بيده فحطّ ورقها"، أي: حثّ ورقها ونثره⁽⁸⁵⁾.

ومنه الغلت والغلط سواء، إلا أنّ الغلت في الحساب، والغلط يكون في غيره⁽⁸⁶⁾، وهو من باب تخصيص الدلالة.

4- بين صوتي التاء والسين:

يقول ابن منظور: "أخسَّ اللهُ حظه وأختَّه بالألف إذا لم يكن في جدِّ وحظِّ في الدنيا ولا شيء من الخير"⁽⁸⁷⁾.

فشدة التقارب بين مخرجي التاء والسين، مسوِّغ كاف لحدوث عملية التعاقب الصوتي بينهما، فصوت التاء لثويّ أسنانيّ انفجاريّ مهموس، أما السين فصوت لثويّ احتكاكيّ مهموس⁽⁸⁸⁾، فالصوتان مهموسان ممّا يقلّل حدوث التعاقب بينهما؛ ولهذا جعله ابن جنّي من الإبدال⁽⁸⁹⁾. وهذا التعاقب الصوتي بين التاء والسين ينسب إلى أهل اليمن⁽⁹⁰⁾، وقد أشد ابن السكيت قول الراجز علباء بن أرقم⁽⁹¹⁾:

ياقْبَحَ اللهُ بني السَّعْلَةَ

عَمْرُو بن يَرْبُوع شرارُ النَّاتِ

ليسوا أَعْفَاءَ ولا أَكْيَاتِ

شرار النَّاتِ: أي النَّاسِ، ولا أَكْيَاتِ: أي ولا أَكْيَاسِ، ومنه قراءة: "قل أعوذ

بربِّ النَّاسِ" لمن قرأ بالشاذ: "النات" بالتاء، وهي تمتمة بني تميم⁽⁹²⁾.

5- بين صوتي الطاء والصاد.

يقول ابن سيده ناقلاً عن ابن السكيت: "غمط ذلك غمطا استصغره ولم يرضه، وغمصه يغمصه ... استحقّره، ولم يرضه"⁽⁹³⁾.

فصوتا الطاء والصاد مهموسان ومفخّمان⁽⁹⁴⁾، ومخرجاها متقاربان، فالصاد صوت لثويّ، والطاء لثويّ أسنانيّ، والصاد صوت رخو (احتكاكيّ)، والطاء صوت الشدید (انفجاريّ)⁽⁹⁵⁾، ومسوِّغ التعاقب الصوتي بينهما وارد، لولا أنّهما مفخّمان، وهذه الصفة تقلّل من احتمالية التعاقب بينهما، فالتغيير من صوت مفخّم لمثله مفخّم يقلل من فرصة حدوث التعاقب بينهما؛ ولذلك أمثله محدودة في اللغة العربية، فقد روي عن رسول الله ﷺ - "أنه كان يأكل العنب خرصا، وهو يضعه في فمه ويخرج عرجونه عريا، وورد الحديث بالطاء أي: خرطا"⁽⁹⁶⁾، ويقال للناقاة: اعتاصت واعتاطت، إذا عقت⁽⁹⁷⁾، ويقال: غمص فلان الناس وغمطهم، بمعنى احتقرهم⁽⁹⁸⁾.

6 - بين صوتي الصاد والسين:

يقول ابن جنّي في التقريب الصوتي في العربية: "من هذا التقريب في الصوت قولهم في سبقت صبقت وفي سقت صبقت وفي سملق صملق وفي سويق صويق، وذلك أنّ القاف حرف مستعل إلا أنّها

أخت الصاد المستعلية، ففربوا السين من القاف بأن قلبوها إلى أقرب الحروف إلى القاف من مخرج السين وهو الصاد " (99)".

تحدث ابن جني عن التعاقب الصوتي بين صوتي الصاد والسين في مواضع عدة، منها: السوق، والصويق، وسقع وصقع، ونمس ونمص، ونقل قول سيبويه في تعاقب سبق وصبقت، وفي سقت وصقت، وسلمق وصلق، وسويق وصويق، وبين أن السين في كل منها هي الأصل؛ لأن السين المستعلية (المرفقة) أخف في النطق من الصاد المطبقة (المفخمة)، وذكر أن الإطباق فرع من المرقق، وهي صفة للسين، والعربية تترك الأصل وتستعمل الفرع حرصاً منها على النطق اليسير، وليكون النطق من وجه واحد، وللتناسب بينهما أي بين السين والصاد من جهة؛ لأن مخرجهما واحد، وبين الصاد والقاف من جهة أخرى للإطباق بينهما.

فصوتي الصاد والسين يشتركان في المخرج، فهما صوتان لثويان، ويشتركان في صفة الهمس، وفي الاحتكاك، والفرق بينهما أن الصاد صوت من أصوات النطق الثانوي، أي أنه صوت مفخم، وأما السين فهي صوت مرقق (100).

ولهذا فموسغ التعاقب الصوتي بينهما محتمل، والباعث عليه هو قانون السهولة واليسر، فالسين أخف من الصاد، إلا أن الصاد أعلى في (الصويق) لتلائم القاف فكلاهما مفخم، فالتغيير هنا تعاقب صوتي (تركيبية).

ولهذا هذا النوع من التعاقب، أمثلة كثيرة في العربية، منها:-

النجس وهو فقء العين بالإصبع وغيرها، ونجس عينيه ينجسها نجسا فقأها، لغة في نجسها، وقد وصف استعمال الصاد بأنه أعلى (101)، وقالوا: بسط بساطة، والصاد لغة فيه (102)، وقد جاء في قوله تعالى: "وزاده بسطة" (103)، بالسين، ورويت (بسطة) بالصاد عن ابن كثير (104)، وجاء فيها: بصق لغة في بسق (105)، وفيه الخرس والخرس بمعنى الدن، وهو نوع من أنواع آنية الخمر، والخراص: صاحب الدنان (106)، ومنه قول النابغة الجعدي (107):-

جَوْنِ كجَوْنِ الخَمَّارِ جَرَّدَهُ ال
خُرَّاسُ لا ناقِسٍ ولا هَرَمِ.

وفي حديث عبدالله بن عمرو بن العاص أنه بكى حتى رسعت عينه:

أي: فسدت وتغيرت والتصقت أجفانها، ويروى رصعت بالصاد (108).

ومنه أيضا الصماخ والسماخ لغة فيه (109)، والسخب والصخب، بمعنى الصياح (110)، فتعاقب

صوتي السين والصاد هنا من باب التأثير بالتجاور لصوت الخاء، وهو ما يعرف بالتحويل السياقي (التركيبية): "ولعل (صخف) بالصاد كانت تستعمل في بيئة بدوية في حين تستعمل (سخف) بالسين في بيئة حضرية، كما في (الصماخ) و(السماخ)" (111).

الخاتمة والنتائج:

1. تعدّ التحوّلات التعاقبيّة في الأصوات العربيّة ظاهرة صوتيّة بين الصوتين المتعاقبين المتحدّين في المخرج، أو المتقاربين فيه، أو في الصفة، على أن يكونا متحدّين في المعنى.
2. في التحوّلات التعاقبية الفونولوجية تظلّ العربيّة محتقظة بالصورة العتيقة، وهي الأصل اللغويّ للفظّة، إلى جانب التحوّل التعاقبي في الصورة الجديدة، ويكون اللفظان مستعملان في اللسان العربي، وتزخر بهما المعاجم العربية.
3. يوضح التعاقب الفونولوجي في الأصوات العربيّة دور الفونيم في التركيب الصوتي للكلمتين المتعاقبتين، بحيث لا يتضمن هذا التحوّل ظاهرة الإبدال الصوتي في العربيّة، وأطلق عليها علماء الأصوات المحدثون قانون الحدقة، أو المبالغة في التفضّح.
4. تحدث ظاهرة التحوّلات التعاقبية الفونولوجيّة بين الصوتين لعلّة صوتية، كطاب الخفّة، والاقتصاد في الجهد العضلي عند نطق الأصوات.

الهوامش:

- 1- رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الثالثة سنة 1997م مزينة ومنقحة، ص: 29 .
- 2- ينظر: السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، شرحه محمد أحمد جادالمولى، وعلي البجاوي، ومحمد أبو الفضل، دار الفكر بيروت (د.ت)، 1: 405 . 406، التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، ص: 11 .
- 3- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب القاهرة، الطبعة الرابعة سنة 2006م، ص: 68.
- 4- ينظر: المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، مطبعة النجاح الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ص: 37، أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص: 67 .
- 5- ينظر: دراسة الصوت اللغوي، ص: 67 .
- 6- ينظر: محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة سنة 414 هـ، (ضبط): 371/7 .
- 7- ينظر: محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تحقيق: محمد عبدخالق عزيمة، عالم الكتب بيروت: 225/1 .
- 8- مجدي إبراهيم، في أصوات العربية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية سنة 2006م، ص: 14
- 9- ينظر: التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، ص: 115.
- 10- ينظر: ابن سيده، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى سنة 1996م، (كتاب السباع): 281/2 .
- 11- محمد الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى سنة 1414م: 37/13 .

- 12- ينظر: مجد الدين المبارك بن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي، محمود الطناحي، دار إحياء التراث العربي، بيروت د: 125/1 .
- 13- ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال: 65/1.
- 14- عمرو بن قنبر سيوييه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة: 405/1 .
- 15- ابن يعيش، شرح المفصل، قَدّم له إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان: 138/10 .
- 16- ينظر: عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى سنة 2000م: 287/1 .
- 17- ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال: 65/1، الكتاب: 433/4 - 434 ، كمال بشر ، علم الأصوات، ص: 276 .
- 18- ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، طبعة سنة 2000م، ، ص: 285 .
- 19- ينظر: حسام البهنساوي، دراسات في علوم الأصوات، دار غريب القاهرة طبعة سنة 2015م، ص: 111 .
- 20- ينظر: محمد حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، مكتبة الآداب القاهرة، الطبعة السابعة مزيدة ومنقحة سنة 2012م، ص: 57 .
- 21- دراسات في علوم الأصوات، ص: 107.
- 22- ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، ص: 303.
- 23- ينظر: المختصر في أصوات العربية، ص: 53 .
- 24- كمال بشر، علم الأصوات، ص: 884 .
- 25- البيت لم ينسب لقائله، وهو من الشواهد الشعرية، ينظر: ابن سيده، المخصص: 77/1
- 26- محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، (حرف اللام فصل الألف): 13/11.
- 27- ينظر: إسماعيل عمارة، بحوث في الاستشراق واللغة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار البشير عمان طبعة سنة 1996م، ص: 204.
- 28- لسان العرب (دشش): 302/6.
- 29- ينظر: المصدر السابق (فصل الجيم) : 437/7.
- 30- ينظر: المصدر نفسه (فصل العين المهملة) : 315/ 13 .
- 31- ينظر . رمضان عبد التواب ، التطور اللغوي ، ص : 25 .
- 32- المخصص: 182/4 .
- 33- ينظر : الكتاب : 432/4.
- 34- ينظر: دراسات في علوم الاصوات، ص: 104.
- 35- ينظر: بحوث في الاستشراق واللغة، ص : 203 .
- 36- لسان العرب (دمج): 274/2 .

- 37- ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، دار إحياء التراث العربي، بيروت(د.ت) : 436/2.
- 38- شطر البيت لم أجد قائله، وهو أحد الشواهد عند ابن جني، سر صناعة الإعراب:205/1.
- 39- ينظر: أبو علي بن عصفور الأشبيلي، ضرائر الشعر، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة 1980م، ص: 232 .
- 40- ينظر: رمضان عبد التواب، لحن العامة والتطور اللغوي، الطبعة الأولى سنة 1967م القاهرة، ص: 315.
- 41- أبو القاسم الزجاجي، الإبدال والمعاقبة والنظائر، تحقيق: عز الدين التتوخي، دار صادر بيروت، ص: 58 .
- 42- ينظر: ابن مكي الصقلي، تنقيف اللسان وتلقيح الجنان، قدّم له: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى سنة 1990م، ص: 92 .
- 43- ينظر: جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ترجمة: صالح القرمادي، مكتبة مركز البحوث تونس، طبعة سنة 1966م، ص: 92، التطور اللغوي مظاهره وعمله، ص:27.
- 44- لسان العرب (سهج) : 302/2.
- 45- ينظر : السيوطي، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى سنة 1998م : 465/1.
- 46- ينظر: تنقيف اللسان وتلقيح الجنان، ص: 92 .
- 47- ينظر : أبو منصور الجواليقي، تكملة إصلاح ما تغط فيه العامة، ، تحقيق: عز الدين التتوخي، مطبعة ابن زيدون، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، طبعة سنة 1936م، ص:31 .
- 48- المحكم: 257/6.
- 49- ينظر: رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مطبعة الخانجي، القاهرة، ص: 50-51، 54.
- 50- ينظر :الكتاب : 434/4 .
- 51- ينظر: يحيى عبانية، دراسات في فقه اللغة والفنولوجيا العربية، دار الشروق عمان، طبعة سنة 2000م، ص:209.
- 52- لسان العرب مادة (نيق):29/10.
- 53- المصدر السابق (بوق): 103/10.
- 54- ينظر: المصدر نفسه (ريدق): 114/10.
- 55- ينظر: تنقيف اللسان، ص: 93 .
- 56- ينظر: ابن أبيك الصفدي، تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، تحقيق: السيد الشرقاوي، مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة الأولى سنة 1987م، ص: 491.
- 57- لسان العرب (كسطل): 588/11 .
- 58- ينظر: الكتاب: 433-434.
- 59- ينظر: كمال بشر، علم اللغة العام . الأصوات العربية . مكتبة الشباب القاهرة، طبعة سنة 1987م، ص: 109 .
- 60- ينظر: المحكم: 299/6.

- 61- البيت لم أجد قائله، وهو من شواهد سيبويه، ينظر: الكتاب: 151/1.
- 62- لسان العرب (أفن): 20/13 .
- 63- النهاية في غريب الحديث والأثر: 130/1 .
- 64- ينظر: محمود الجومرد، اللهجة الموصلية دراسة وصفية ،ومعجم ما فيها من الكلمات الفصيحة، مركز البحوث الأثرية والحضارية، جامعة الموصل، الموصل، طبعة سنة1988م، ص:65- 252 .
- 65- ينظر: عبدالمنعم السيد، لهجة شمال المغرب ، تطوان وما حولها، دار الكتاب العربي، القاهرة، طبعة سنة 1968م، ص: 81-82 .
- 66- ينظر: دراسات في علوم الأصوات، ص: 93 - 96.
- 67- ينظر: ترتيب كتاب العين (دلج) : 81/6 .
- 68- ينظر: الكتاب: 316/4 .
- 69- ينظر: المخصص : 187/4 .
- 70- ينظر: : الكتاب: 433/4، دراسات في علوم الأصوات، ص : 93 . 94 .
- 71- ينظر: ترتيب كتاب العين (سبند): 341/ 7 .
- 72- ينظر: لسان العرب(هرت): 103/2، و(هرد) : 435/3 .
- 73- نسب البيت لابن مقبل، ينظر: السيرافي، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدي، علي سيد، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى سنة 2008م : 146/1 .
- 74- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية : 341/6 .
- 75- ينظر: الكتاب: 433/ 4 .
- 76- ينظر: كمال بشر، علم اللغة العام، ص:102 .
- 77- ينظر: الكتاب: 433/4 .
- 78- ينظر: بحوث في الاستشراق واللغة، ص: 201 .
- 79- لسان العرب (بعط) : 262/7 .
- 80- ينظر: ترتيب كتاب العين(طحو): 277/3 .
- 81- ينظر : المصدر السابق (فد) : 16/5 .
- 82- ينظر: ديوان النابغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة (د.ت)، الطبعة الثانية، ص: 24 .
- 83- ترتيب كتاب العين: (تبين) 129/8 .
- 84- الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى سنة 2001م : 15/5 .
- 85- النهاية في غريب الحديث والأثر : 402/1، لسان العرب(حطط): 275/7 .
- 86- ينظر: ترتيب كتاب العين: 396/4، المخصص: 49/4، لسان العرب(غلت): 64/2 .
- 87- لسان العرب (خس): 64 / 6 .
- 88- ينظر : الكتاب : 433-434، في صوتيات العربية ص: 140، علم اللغة العام ، ص:120 .
- 89- ينظر: سرّ صناعة الإعراب: 156/1 .

- 90- ينظر : أبو منصور عبدالله بن محمد الثعالبي ، فقه اللغة وأسرار العربية ، دار مكتبة الحياة بيروت .(د.ت)، ص:228.
- 91- ينظر: رضي الدين الاسترآبادي ، شرح شافية بن الحاجب ، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرون دار الكتب العلمية، بيروت لبنان: 221/3.
- 92- ينظر: ابن خالويه ، مختصر في شواذ القرآن، تحقيق: برجشتراسر ، دار الهجرة، طهران (د.ت) ص:13.
- 93- المخصص: 3/ 492.
- 94- الطاء في المثال هي الطاء المهموسة المستعملة في الفصحى الحالية، وليست الطاء المجهورة عند سيبويه.
- 95- ينظر: دراسات في علوم الأصوات، ص: 94 . 96 .
- 96- ينظر : النهاية في غريب الحديث: 2/23.
- 97- ينظر: لسان العرب(غوص): 7/59.0 .
- 98- ينظر: المصدر السابق (غمص) 7: /61.
- 99- سرّ صناعة الإعراب:1/186.
- 100-ينظر: الكتاب : 433/4-434، علم اللغة العام، ص: 120.
- 101-ينظر: لسان العرب: (نجس)6/25 .
- 102-ينظر: ترتيب كتاب العين (سبط): 7/218 .
- 103-من سورة البقرة الآية 247.
- 104-ينظر : أبو بكر محمد الأصفهاني، المبسوط في القراءات العشر، تحقيق: سبيع حمزة صاكي، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق، طبعة سنة 1986م، ص: 148.
- 105-ينظر: ترتيب كتاب العين(بصق) : 5/69.
- 106-ينظر: المخصص: 3/ 199 .
- 107-ديوان النابغة الجعدي، دار صادر بيروت لبنان ، الطبعة الأولى سنة 1998م، الخراس هو الذي يصنع الدنان وأكثر ما تكون من الفخار .
- 108-ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: 2/221.
- 109-ينظر: ترتيب كتاب العين: 4/192 .
- 110-ينظر: لسان العرب(سخب): 1/462.
- 111-إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، المكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، طبعة سنة 1979م، ص:129 .